﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾

[الزّمر: 53]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

الـرّبـطُ بين ترغيب العُصاةِ بما سبقَ منَ التّرهيب

لمّا أطنبَ ﷻ في الوعيدِ أردفَهُ بشرحِ كمالِ رحمتِهِ وفضلِهِ وإحسانِهِ[1]؛ حثًّا للعُصاةِ على التَّوبةِ والإنابةِ[2]، وفي ذلك دعوة للعُصاة والكفرة والمسرفين على أنفسهم إلى التّوبة النّصوح، والإنابةِ المخلصةِ إلى الله تعالى، مُذَكّرا لهم، بأنّه يغفر الذّنوب بالكليّة، لمن تاب وأناب، ورجع عنِ الغيّ والمعصيّة[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾: (عبد) أصلٌ يدلُّ على لينٍ وذُلٍّ[4]، ومِنْ ذلكَ: العُبوديَّةُ، وهي إظهارُ التَّذلُّلِ[5]، والعبدُ يقالُ على أضرُبٍ: الأوَّلُ: عبدٌ بحُكْمِ الشَّرعِ؛ وهو الإنسانُ الَّذي يصحُّ بيعُهُ وشراؤُهُ مِنَ النّاسِ. الثّاني: عبدٌ بالإيجادِ، وذلكَ لا يكونُ إلّا للّهِ. والثّالثُ: عبدٌ بالعِبادةِ والخِدْمةِ، والنّاسُ في هذا نوعانِ: عبدٌ للّهِ مُخلَصٌ، وعبدٌ للدُّنيا مُعتكِفٌ على خِدْمتِها ومراعاتِها[6]. والمرادُ بالعبادِ هنا: مَنْ أوجدَهمُ الخالقُ ﷻ.

2) ﴿أَسۡرَفُواْ﴾: (سرف) أصلٌ يدلُّ على مجاوزةِ الحدِّ[7] في كلِّ فعلٍ يفعلُهُ الإنسانُ، واشتهرَ ذلكَ في الإنفاقِ[8]، والسّرفُ: التّبذير،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 27/ 463، والنّيسابوري، غرائب القرآن: 6/ 9.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 533، والمراغيّ، تفسير المراغي: 24/ 21.
(3) حومد، أيسر التفاسير، ص: 3990.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عبد).
(5) السّمين، عمدة الحفّاظ: (عبد).
(6) الرّاغب، المفردات: (عبد).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والزّبيدي، تاج العروس: (سرف).
(8) الرّاغب، المفردات، والزّمخشريّ، أساس البلاغة: (سرف).

أسرف الرّجل في ماله إسرافًا، إذا عجلَ فيه وأكل ماله سرفًا. ثمّ كثُرَ ذلك في كلامهم، حتّى قالوا: قَتل فلانٌ بني فلانٍ فأسرفَ، إذا جاوز في ذلك المقدارَ، وتكلّم بإسراف، إذا جاوز المقدارَ أيضًا[1]. ويُطلَقُ الإسرافُ أيضًا على التَّقصيرِ في طاعةِ اللّهِ تعالى[2]. والمرادُ بـ ﴿أَسۡرَفُواْ﴾ هنا: أفرطوا في الجنايةِ على أنفسِهم بالإكثارِ مِنَ الذُّنوبِ والمعاصي[3].

3) ﴿لَا تَقۡنَطُواْ﴾: (قنط) أصلٌ يدلُّ على اليأسِ مِنَ الشَّيءِ[4]، ومِنْ ذلكَ: القُنوطُ، وهو اليأسُ مِنَ الخيرِ[5]. "وقد قَنَطَ يقْنِطُ قُنوطًا، مثل جلس يجلِسُ جلوسًا. وكذلك قنَطَ يقْنُطُ مثل: قعد يقعُد، فهو قانطٌ. وفيه لغةٌ ثالثة: قنِط يقنَطُ قَنَطًا، مثل تعب يتعب تعبًا، وقناطة، فهو قنِط[6]، والمرادُ بالنَّهي عنِ القُنوطِ هنا: عدمُ اليأسِ[7].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يأمرُ اللّهُ تعالى نبيَّهُ ﷺ أنْ يُبلِّغَ عبادَهُ ما يستجلبُ قلوبَهم إليهِ، فيقولُ: قل يا محمَّدُ: يقولُ اللّهُ: يا عبادِيَ الَّذينَ أكثروا مِنَ المعاصي بالشِّركِ وغيرِهِ، لا تيأسوا مِنْ رحمةِ اللّهِ، إنَّ اللّهَ يسترُ الذُّنوبَ كلَّها بعَفْوِهِ عن أهلِها إذا تابوا منها، إنَّهُ هو المتَّصفُ بالمغفرةِ والرَّحمةِ[8].

دعـوةُ المُذنبينَ إلـى الإنـابـةِ ورجـاءِ غـفـرانِ الله ورحمته

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نكتةُ فصلِ ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ﴾:

فُصِلَ قولُهُ تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ﴾ عمّا قبلَهُ؛ لِما

التَّوبةُ والإنابةُ سبيلُ النَّجاةِ، وملاذُ العُصاة

(1) ابن دريد، جمهرة اللغة: (رسف).
(2) السّمين، عمدة الحفّاظ: (سرف).
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 537، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 46.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (قنط).
(5) الرّاغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفّاظ: (قنط).
(6) الجوهريّ، الصّحاح: (قنط).
(7) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 537.
(8) ابن جرير، جامع البيان: 21/ 306، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 106.

بينَهما مِنْ شِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ؛ لأنَّ هذهِ الجملةَ استئنافٌ بيانيٌّ؛ لأنَّ الزَّواجرَ السّابقةَ تُثيرُ في نفوسِ المواجَهينَ بها خاطرَ التَّساؤلِ عن مسالكِ النَّجاةِ[1]، فبيَّنَتْ هذهِ الآيةُ وما بعدَها سبيلَ النَّجاةِ.

تعيينُ المخاطَبِ بـ ﴿قُلْ﴾:

أمْرُ النَّبيِّ بالقولِ، تكليفٌ بالبلاغِ عنِ الله

المُخاطَبُ في قولِ الباري ﷻ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ هو النَّبيُّ ﷺ[2]؛ إذ هو المُكلَّفُ بتبليغِ الوحيِ، ومِنْ جملتِهِ هذا النَّبأُ العظيمُ الشَّأنِ، والعلماءُ ورثتُهُ، وهم مُكلَّفونَ بأنْ يُبلِّغوا النّاسَ ذلكَ أيضًا.

نكتةُ تصديرِ الآيةِ بالأمرِ بالقولِ:

عِظَمُ الأمرِ بالمَقولِ دعوةٌ للتّوبةِ بالسّياقِ المنقولِ

تصديرُ قولِهِ تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بالأمرِ بالقولِ؛ للإيذانِ بأنَّ المَقولَ أمرٌ جليلٌ، لهُ شأنٌ خطيرٌ، لا بدَّ مِنَ الاعتناءِ بهِ أمرًا وائتمارًا، ولتشريفِ النَّبيِّ ﷺ بالتَّصريحِ بالتَّكليفِ، وإلّا فهو مُكلَّفٌ بالبلاغِ، صُرِّحَ بذلكَ أو لم يُصرَّحْ.

دلالةُ الأمرِ بالقولِ:

وجوبُ تبليغِ الكلامِ المذكورِ بفعلِ الأمرِ المأثورِ

الأمرُ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ﴾ للوجوبِ؛ إذ هو الأصلُ، ولا مُقتضيَ للعدولِ عنهُ، بل مقامُ التَّكليفِ بالتَّبليغِ يقتضيهِ، فيفيدُ الكلامُ أنَّ على النَّبيِّ ﷺ أنْ يُبلِّغَ العبادَ هذا البيانَ الإلهيَّ.

بلاغةُ النِّداءِ في السّياقِ:

النِّداءُ استجلابٌ لقلوبِ المخاطَبينَ

افتُتِحَ قولُهُ تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بالنِّداءِ؛ لتنبيهِ العبادِ وتهيئتِهم لتلقّي ما بعدَ النِّداءِ مِنَ الكلامِ بنفوسٍ يَقْظَى وآذانٍ واعيةٍ؛ لأنَّهُ كلامٌ خطيرُ الشَّأنِ، فيهِ نجاتُهم عندَ اللّهِ تعالى، فلا بدَّ مِنَ التَّنبيهِ والإيقاظِ لهُ. وفي النِّداءِ أيضًا اهتمامٌ بالمُنادَيْنَ، والمعنى: ربُّكم المُحسِنُ إليكم يقولُ: يا عبادِيَ... إلخ[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 39.
(2) الجَمَل، حاشية على الجلالين: 6/ 439.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 533.

نكتةُ النِّداءُ بـ (يا) دونَ غيرِها:

مناسبةُ البعدِ في النّداء، لبُعْد الـعُـصـاةِ عـنِ الطّاعات

عُبِّرَ بأداةِ نداءِ البعيدِ (يا) دونَ غيرِها في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾؛ لما تشيرُ إليهِ مِنْ أنَّ المخاطَبينَ لكثرةِ انهماكِهم في المعاصي وبُعدِهم عن ساحةِ الطّاعةِ، حتَّى ظنّوا أنَّهُ لا توبةَ لهُم قد غَرِقوا في أوحالِ الغفلةِ، فنُزِّلوا منزلةَ البعيدِ؛ حثًّا لهُم على نَفْضِ غُبارِ الغفلةِ عنهُم، وعلى الإقبالِ لتلقّي الخطابِ.

سرُّ النِّداءِ بوصفِ العُبوديَّةِ:

مَنْ تذلَّلَ وافتقرَ للهِ، فازَ بالإكرامِ من مولاه

اختيرَ في النِّداءِ بقولِهِ تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ وصفُ العبوديَّةِ؛ للحثِّ على الإقبالِ والاستجابةِ، وللإشعارِ بحصولِ المغفرةِ والرَّحمةِ لمَنْ أقبلَ على اللهِ؛ لما في هذا الوصفِ مِنَ الدَّلالةِ على الذِّلَّةِ والاختصاصِ المقتضيَينِ للتَّرحُّمِ[1]، ومِنَ التَّنبيهِ على أنَّ المُذنِبَ لم تُسْلَبْ عنهُ صفةُ العبوديَّةِ[2].

نكتةُ إضافةِ الضّميرِ في ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾:

مَنْ أُضيفَ إلى اللهِ، شَرُفَ به، ونال رضاه

إضافةُ العبادِ إلى ضميرِ المتكلِّمِ الرّاجعِ إلى الحقِّ ﷻ في قولِهِ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾؛ لتشريفِهم وبيانِ اختصاصِهم، وشرفُ الإضافةِ إليهِ يفيدُ أمنَ العاصي التّائبِ مِنَ العذابِ[3]، وأنَّهُ قد ذاقَ حلاوةَ التَّقريبِ بعدَ مرارةِ العصيانِ والوعيدِ[4]. ومَنْ قالَ: إنَّ الخطابَ للمؤمنينَ فقطْ؛ استدلَّ بهذهِ الإضافةِ؛ لأنَّها تدلُّ على قُرْبِ المنزلةِ، والكافرُ لا منزلةَ لهُ عندَ اللهِ تعالى[5]. ومَنْ يقولُ بالعمومِ يمكنُهُ حملُ الإضافةِ على أنَّها باعتبارِ كونِهم مخلوقينَ للهِ، أو على سبيلِ استمالةِ قلوبِ الجميعِ كما تقدَّمَ.

---

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 13/ 409.

(2) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 10.

(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 27/ 464، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 211.

(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 533.

(5) ابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 549.

غرضُ التَّعبيرِ بالموصولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾:

الإسرافُ في المعاصي، مَظِنَّةُ اليأسِ مِنْ رحمةِ الآخذِ بالنّواصي

عُبِّرَ بالموصولِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾؛ للتَّنبيهِ بما في حيِّزِ الصِّلةِ على علَّةِ هذا النِّداءِ والتَّقريبِ والنَّهي عنِ القُنوطِ؛ لأنَّ إسرافَهم قد يحملُهم على القُنوطِ مِنْ رحمةِ اللّهِ، ولأنَّ الموصولَ مِنْ ألفاظِ العمومِ، فيشملُ كلَّ عُصاةِ المؤمنينَ، ويشملُ الكافرينَ أيضًا عندَ مَنْ قالَ: إنَّ الخطابَ شاملٌ لهُم أيضًا[1].

نكتةُ الماضي في ﴿أَسۡرَفُواْ﴾:

إسرافُ المخاطَبينَ مُتحقِّقٌ بيقين

عُبِّرَ بصيغةِ الماضي في قولِ الباري ﷻ: ﴿أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾؛ للتَّنبيهِ على أنَّ إسرافَ المخاطَبينَ على أنفُسِهم أمرٌ قد تحقَّقَ وثبتَ، ولذلكَ خوطِبوا هذا الخطابَ الدّاعيَ إلى التَّوبةِ والإنابةِ.

نكتةُ تعديةِ ﴿أَسۡرَفُواْ﴾ بـ ﴿عَلَىٰٓ﴾:

تضمينُ الإسرافِ معنى الجنايةِ أوِ الحَمْلِ

عُدّيَ ﴿أَسۡرَفُواْ﴾ بـ﴿عَلَىٰٓ﴾ لتضمينِهِ معنى الجنايةِ[2]؛ لِما يُشْعِرُ به حَرْفُ الاستعلاءِ من الحَمْلِ والمَشَقَّةِ والتَّبِعةِ والضَّرَرِ؛ لأنَّ الإكثارَ هنا مِنْ أعمالٍ تتحمَّلُها النَّفسُ وتثقُلُ بها، وذلكَ مُتعارَفٌ في التَّبِعاتِ والعدوانِ، تقولُ مثلًا: أكثرتُ على فلانٍ، فمعنى ﴿أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: أنَّهم جلبوا لأنفسِهم ما تُثقِلُهم تَبِعتُهُ؛ ليشملَ ما اقترفوهُ مِنْ شِرْكٍ وسيِّئاتٍ[3].

سرُّ تخصيصِ ضررِ الإسرافِ بـ ﴿عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾:

ذلُّ المعصيةِ عقابٌ للعاصي، وردعٌ عنِ المعاصي

خُصِّصَ ضررُ الإسرافِ المُشعِرةُ به ﴿عَلَىٰٓ﴾ بأنفُسِ العُصاةِ؛ للإيماءِ إلى الرَّحمةِ؛ إذ معنى ﴿أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾: أنَّ ضررَ تلكَ الذُّنوبِ ما عادَ إليهِ تعالى، بل هو عائدٌ إليهِم، فيكفيهِم مِنْ ذنوبِهم رجوعُ مَضارِّها إليهِم، ولا حاجةَ إلى إلحاقِ ضررٍ آخرَ بهِم[4]، كما

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 39.
(2) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 343، والآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 269.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 41.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 27/ 464.

يقالُ في المَثَلِ: أحسِنْ إلى مَنْ أساءَ، كفى المُسيءَ إساءتُهُ، فالعبدُ إذا أساءَ ووقفَ بينَ يدَيْ سيِّدِهِ ذليلًا خائفًا، عالمًا بسُخْطِ سيِّدِهِ عليه، ناظرًا لإكرامِ غيرِهِ ممَّنْ أطاعَ؛ لَحِقَهُ ضررٌ؛ إذِ استحقاقُ العقابِ عقابٌ عندَ العُقَلاءِ[1].

دلالةُ النَّهي في ﴿لَا تَقۡنَطُواْ﴾:

النَّهيُ عنِ القُنوطِ، أمرٌ بالرَّجاءِ في رحمة الله

يدلُّ النَّهيُ في قولِهِ تعالى: ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ على حُرمةِ اليأسِ والقُنوطِ مِنْ رحمةِ اللهِ تعالى، وفي ذلكَ أمرٌ بالرَّجاءِ يُشعِرُ بالرَّحمةِ؛ إذِ الكريمُ سبحانَهُ إذا أمرَ بالرَّجاءِ فلا يليقُ بهِ إلّا الكرمُ[2].

معنى الحرف ﴿مِن﴾ في السّياق:

رحمةُ اللهِ ابتداءٌ لكلِّ خيرٍ، ومفتاحٌ لكلِّ رجاء

الظّاهرُ أنَّ ﴿مِن﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ لابتداءِ الغايةِ، فتفيدُ النَّهيَ عن جعلِ رحمةِ اللهِ تعالى ابتداءً لليأسِ والقُنوطِ، بل حقُّها أنْ تكونَ ابتداءً للرَّجاءِ والطَّمعِ بالعفوِ والمغفرةِ. قال عليّ كرّم الله تعالى وجهَه: أيُّ آيةٍ أوسعُ؟ فجعلوا يذكرون آياتٍ منَ القرآنِ ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ﴾ [النساء: 110] الآية ونحوَها، فقال عليّ بن أبي طالب ﷺ: ما في القرآنِ أوسعُ آيةً من: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ الآية[3].

سرُّ ذكرِ الرَّحمةِ دونَ المغفرةِ:

رحمةُ اللهِ مقرونةٌ بمغفرتِهِ، وذلك من لُطفِه بخليقتِه

إذا كانَ المرادُ بالعبادِ في قولِهِ تعالى شأنُهُ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾ المؤمنينَ؛ فكأنَّهُ قيلَ: أيُّها المؤمنونَ المذنبونَ لا تقنطوا مِنْ رحمةِ اللهِ، أي: لا تيأسوا مِنْ مغفرتِهِ سبحانَهُ وتفضُّلِهِ، وإنَّما لم تُذكَرِ المغفرةُ؛ لأنَّها مُدرَجةٌ في الرَّحمةِ، أو لأنَّ الرَّحمةَ مُستلزِمةٌ لها؛ لأنَّ مَنْ لم يُغفَرْ لهُ لم يُرحَمْ[4].

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 269.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 27/ 465، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 212.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 271.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 269.

رحمةُ العظيمِ عظيمةٌ

بلاغةُ الإضافةِ في ﴿رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾:

أُضيفَتِ الرَّحمةُ إلى لفظِ الجلالةِ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾؛ لتعظيمِ شأنِها؛ لأنَّ لفظَ الجلالةِ أعظمُ أسماءِ اللهِ وأجلُّها؛ إذ هو مشتملٌ على معاني جميعِ الأسماءِ، فالرَّحمةُ المضافةُ إليهِ أعظمُ أنواعِ الرَّحمةِ والفضلِ[1]، وفي ذلكَ دلالةٌ على أعظمِ أنواعِ الكرمِ واللُّطفِ[2].

لفظُ الجلالةِ دالٌّ على أنّ الرّحمة بالمخلوقات، من مقتضى الذّات

بلاغةُ الإظهارِ في مقامِ الإضمارِ:

وُضِعَ الظّاهرُ موضعَ الضَّميرِ في قولِهِ تعالى: ﴿مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾، ولم يُقَلْ: (مِنْ رحمتي)؛ للإتيانِ بلفظِ الجلالةِ الدّالِّ على استجماعِهِ لجميعِ الصِّفاتِ؛ إشعارًا بأنَّ الرَّحمةَ والمغفرةَ مِنْ مُقتضَى ذاتِهِ تعالى، لا لشيءٍ آخرَ مِنْ توبةٍ أو غيرِها. وهذا على رأيِ مَنْ يرَى أنَّ غُفرانَ الذُّنوبِ هنا غيرُ مشروطٍ بالتَّوبةِ[3]، وفي ذلكَ مِنَ التَّنبيهِ على سَعَةِ الرَّحمةِ ما لا يخفَى[4].

الله تعالى يغفرُ الذّنوبَ وإن عظُمتْ

سرُّ التَّعبيرِ بلفظِ الجلالةِ دونَ الرَّحمنِ:

قيلَ: ﴿مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾، ولم يُقَلْ: (مِنْ رحمةِ الرَّحمنِ) معَ مناسبتِهِ للرَّحمةِ؛ لأنَّ لفظَ الجلالةِ دالٌّ على جميعِ الصِّفاتِ[5]، ومنها الرَّحمةُ، ولأنَّ الإنسانَ قد يستعظمُ ذنوبَهُ، ويأسُ مِنْ مغفرتِها، فعُبِّرَ باللَّفظِ الدّالِّ على العظمةِ والجلالِ والقدرةِ؛ لبيانِ أنَّهُ ﷻ يرحمُ ويغفرُ الذُّنوبَ وإنْ عَظُمَتْ.

الاستئنافُ التّعليليُّ مفيدٌ للتّيقُّن بغفران الله المجيد

نكتةُ فصلِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ﴾:

فُصِلَ قولُهُ تعالى شأنُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ عمّا قبلَهُ؛

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 27/ 465، والسّمين، الدّر المصون: 9/ 433.
(2) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 10.
(3) الخفاجيّ، عناية القاضي: 7/ 344.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 212.
(5) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 534.

لِما بينَهما مِنْ شِبْهِ كمالِ الاتِّصالِ؛ لأنَّهُ استئنافٌ تعليليٌّ لهُ[1]، كأنَّهُ قيلَ: ما سببُ نهيِهم عنِ القُنوطِ مِنَ الرَّحمةِ؟ فأُجيبَ بأنَّ سببَ النَّهيِ هو أنَّ اللهَ يغفرُ الذُّنوبَ جميعًا[2].

نكتةُ توكيدِ الجملةِ الاسميّة:

مـغـفـرةُ الـلـهِ مُتحقِّقةٌ يقينًا، فلا شكَّ في ذلك على الإطلاق

صُدِّرَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ بالتَّوكيدِ؛ للدَّلالةِ على المبالغةِ في الوعدِ بالمغفرةِ[3]، وأنَّهُ مُتحقِّقٌ، لا شكَّ فيه، ولا ارتيابَ. قال القنّوجي: "فيالها من بشارةٍ ترتاحُ لها قلوبُ المؤمنين المحسنين ظنَّهم بربّهم، الصّادقين في رجائه، الخالعين لثياب القُنوط، الرّافضين لسوء الظّنِّ بمَن لا يتعاظمُه ذنبٌ، ولا يبخلُ بمغفرته ورحمته على عباده المُتوجّهين إليه في طلب العفو، المُلتجئين به في مغفرة ذنوبهم"[4].

نكتةُ إظهارِ لفظِ الجلالةِ في موضعِ إضمارِهِ:

مـغـفـرةُ الـلـهِ جاريـةٌ مَجْرى الأمثالِ

مُقتضَى الظّاهرِ أنْ يقالَ: (إنَّهُ يغفرُ الذُّنوبَ جميعًا)؛ لتقدُّمِ ذكرِ لفظِ الجلالةِ في قولِه: ﴿مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾، لكنْ عُدِلَ إلى الإظهارِ في قولِه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾؛ للمبالغةِ في تأكيدِ المغفرةِ؛ لأنَّها صادرةٌ عن ذي العظمةِ والجلالِ المُستغني عن كلِّ شيءٍ[5]، ولتأكيدِ استقلالِ الجملةِ، بحيثُ تجري مَجْرى الأمثالِ السّائرةِ.

بلاغةُ صيغةِ المضارعِ في ﴿يَغۡفِرُ﴾:

مـغـفـرةُ الـلـهِ تعالى مُستمرَّةٌ ومتجدّدةٌ

عُبِّرَ بصيغةِ المضارعِ في قولِه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ غفرانَ الذُّنوبِ مُتجدِّدٌ مستمرٌّ[6]، وإنْ كَثُرَ العصيانُ وتجدَّدَ، وفي ذلكَ مِنَ الإطماعِ والحثِّ على التَّوبةِ والإنابةِ ما لا يخفَى.

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 13/ 409.
(2) ابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 552.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 27/ 465، وأبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 212.
(4) القِنَّوجيّ، فتحُ البيان: 12/ 130.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 27/ 465، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 46.
(6) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 10.

نكتةُ تعريفِ ﴿ٱلذُّنُوبَ﴾:

كلُّ الذُّنوبِ قابلةٌ للمغفرةِ، فلا يُستثنَى إلّا ما استثناه الله

الظّاهرُ أنَّ تعريفَ الذُّنوبِ في قولِهِ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾؛ للجنسِ المفيدِ للاستغراقِ، فإنْ كانَ الغُفرانُ مشروطًا بالتَّوبةِ فذلكَ شاملٌ للشِّركِ أيضًا؛ إذ هو يُغفَرُ بشرطِ الإيمانِ، وإنْ لم يكنِ الغفرانُ مشروطًا بالتَّوبةِ فالغُفرانُ خاصٌّ بالذُّنوبِ دونَ الشِّركِ؛ إذ هي الَّتي يمكنُ أنْ يغفرَها سبحانَهُ بلا توبةٍ إنْ شاءَ[1].

بلاغةُ الحالِ بلفظ ﴿جَمِيعًا﴾:

الذُّنوبُ هَباءٌ منثور، في مقابلِ مغفرةِ الغفور

جيءَ بالحالِ ﴿جَمِيعًا﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾؛ لتأكيدِ الاستغراقِ المستفادِ مِنْ تعريفِ الذُّنوبِ[2]، فيغفرُ سبحانَهُ كلَّ ذنبٍ منها إنْ شاءَ[3]. وفي التَّعبيرِ بهِ إشارةٌ لطيفةٌ أيضًا، وهي تصويرُ إيقاعِ المغفرةِ على ذنوبٍ كثيرةٍ مجتمعةٍ، فتُمحَى جملةً واحدةً.

علَّةُ فصلِ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

أسلوبُ التّعليلِ بالتّذييلِ، مُفصحٌ عنِ المُرادِ المُستفادِ

فُصِلَتْ جملةُ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ عن جملةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾؛ لأنَّها تعليلٌ لها[4]، أي: لا يُعجِزُهُ أنْ يغفرَ جميعَ الذُّنوبِ وإنْ كَثُرَتْ؛ لأنَّهُ غفورٌ رحيمٌ[5]. وهذا الاستئنافُ فيه تذييلٌ للكلامِ السّابقِ وتأكيدٌ لهُ[6].

بلاغةُ توالي المؤكِّداتِ في الجملةِ:

اتِّصافُ اللهِ بالمغفرةِ والرَّحمةِ، أمرٌ مُتيقَّنٌ لا ريبَ فيه

أُكِّدَ قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ بـ(إنَّ) وضميرِ الفصلِ واسميَّةِ الجملةِ؛ للاعتناءِ بمضمونِهِ، والتَّنبيهِ على أنَّ اتِّصافَهُ تعالى بالمغفرةِ والرَّحمةِ أمرٌ ثابتٌ، لا شكَّ فيه[7]، ولدفعِ الاستبعادِ الَّذي قد

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 534.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 534.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 42.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 46.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24/ 42.
(6) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 269.
(7) السّمين، الدّر المصون: 9/ 433.

يخالجُ قلوبَ بعضِ النّاسِ بسببِ الإسرافِ في الذُّنوبِ وكثرتِها[1]. ولا يخفَى ما في كلِّ ذلكَ مِنْ ملاءمةِ مقامِ الإطماعِ والحثِّ على الإنابةِ.

بلاغةُ القصرِ في السّياقِ المُحكَم:

لا غفورَ ولا رحيمَ إلّا اللهُ العظيم

قولُهُ تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ فيهِ قصرٌ مستفادٌ مِنْ تقديمِ المُسنَدِ إليهِ، ومِنْ ضميرِ الفصلِ، وتعريفِ الخبرِ، ومعناهُ: أنَّهُ لا غفورَ ولا رحيمَ إلّا هو ﷻ، وذلكَ يفيدُ الكمالَ في وصفِهِ سبحانَهُ بالغُفرانِ والرَّحمةِ[2].

نكتةُ تذييلِ الآيةِ بـ ﴿ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

أهميّةُ ختمِ الكلامِ بما يناسبُ ابتداءَهُ في المعنى

خُتِمَتِ الآيةُ بصفتَي ﴿ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ لمناسبتِهما لما سبقَ مِنَ الكلامِ؛ فالغفورُ إشارةٌ إلى إزالةِ موجباتِ العقابِ، والرَّحيمُ إشارةٌ إلى تحصيلِ موجباتِ الثَّوابِ[3]، وهذا يُسمَّى في البلاغةِ تشابُهَ الأطرافِ، وهو ختمُ الكلامِ بما يناسبُ ابتداءَهُ في المعنى[4].

علَّةُ تقديمِ المغفرةِ على الرَّحمةِ:

بيانُ أنّ التَّخلية مقدَّمةٌ على التَّحلية

قُدِّمَتِ المغفرةُ على الرَّحمةِ في قولِهِ تعالى ذكرُهُ: ﴿ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾؛ لأنَّ إزالةَ موجباتِ العقابِ مقدَّمةٌ على تحصيلِ موجباتِ الثَّوابِ، والتَّخليةُ مقدَّمةٌ على التَّحليةِ، وتعقيبُ المغفرةِ بالرَّحمةِ شبيهٌ بذكرِ السَّببِ بعدَ المسبَّبِ؛ فإنَّ غُفرانَ الذُّنوبِ مِنْ آثارِ رحمتِهِ ﷻ.

سرُّ حذفِ متعلَّقَي ﴿ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

حُذِفَ مُتعلَّقا المغفرةِ والرَّحمةِ في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، فلم يُقَلْ: الغفورُ لكذا، والرَّحيمُ بكذا؛ لإفادةِ العمومِ[5]، وهو المناسبُ لمقامِ الحثِّ على الإقبالِ على اللهِ.

---

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 16/ 534.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 27/ 465، وابن التّمجيد، حاشية على تفسير البيضاوي: 16/ 550.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 27/ 465.
(4) التّفتازانيّ، المختصر، ص: 681.
(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 12/ 269.

❁ الفروقُ المعجميَّةُ:

(اليأسُ) و(القُنوطُ) و(الإبلاسُ):

القُنوطُ قرينُ الإسرافِ في الذُّنوبِ، والإبلاسُ حزنٌ مقرونٌ باليأس

القُنوطُ أشدُّ مبالغةً مِنَ اليأسِ[1]. واليأسُ مِنْ صفةِ القلبِ، والقُنوطُ: أنْ يظهرَ أيضًا على الإنسانِ آثارُ اليأسِ بالانكسارِ ونحوِهِ. والإبلاسُ: الحزنُ المعترضُ مِنْ شدَّةِ اليأسِ، أو هو التَّحيُّرُ واليأسُ، ولذلكَ كَثُرَ استعمالُهُ في القرآنِ في سياقِ الكلامِ عنِ العذابِ[2]. وقد عُبِّرَ بالقُنوطِ هنا؛ لدلالتِهِ على عِظَمِ اليأسِ[3]، فيناسبُ مقامَ حثِّ المسرفينَ على التَّوبةِ والإنابةِ.

(1) العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 245.
(2) زيدان، الفروق اللّغويّة، ص: 41 - 45.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 537.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 50 ، 822 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-643-81-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 50 : المجلد الخمسون، سورة الزُّمر من الآية 05 إلى الآية 72.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-643-81-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1291842 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»